

خطبة الجمعة - الخطبة ٠٧٥٣ : خ ١ - كيف نفعل إذا فسد الناس ، خ ٢ - العلاقة بين الأيام البيض و صيامهم طيبا .

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٠-٠٧-٢١

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الأولى:

الحمد لله نحمده ، و نستعين به و نسترشده ، ونعوذ به من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، إقراراً بربوبيته ، وإرغاماً لمن جحد به و كفر ، وأشهد أن سيدنا محمداً صلى الله عليه و سلم ، رسول الله سيد الخلق و البشر ، ما اتصلت عين بنظر أو سمعت أذن بخبر ، اللهم صلِّ و سلم و بارك على سيدنا محمد وعلى آله و أصحابه ، وعلى ذريته ومن والاه ومن تبعه إلى يوم الدين ، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا ، إنك أنت العليم الحكيم ، اللهم علمنا ما ينفعنا ، وانفعنا بما علمتنا ، وزدنا علماً ، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه ، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين .

نفي الله عز وجل إهلاك القرى من دون ذنب ارتكبه أهلها :

أيها الأخوة الكرام ؛ يقول الله جل جلاله:

﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ ﴾

[سورة هود : ١١٧]

ألا ترى أيها الأخ الكريم أن هناك منطقة فيها زلازل ، ومنطقة أخرى فيها براكين ، ومنطقة فيها جفاف ، ومنطقة فيها اجتياح ، و منطقة فيها حرب أهلية ، و منطقة فيها فقر مدقع ، ألا تستمع إلى الأخبار؟ ألا ترى هذه المآسي التي تحل بأهل القرى ما تفسيرها؟ كيف نفهم هذه الحوادث؟ هذه المصائب الكبرى وهذه المحن العظيمة وهذا البلاء الشديد بم يُفسر؟ هذه الآية الكريمة توضِّح ما يجري ، قال تعالى:

﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ ﴾

[سورة هود : ١١٧]

أشدّ أنواع النفي هذه الصيغة ، أشدّ أنواع النفي في اللغة العربية هذه الصيغة ، إذا قال قائل: أنا لم أسرق هذه الحاجة ، هذا نفي الحدث ، أما إذا قلت: ما كان لي أن أسرق هذه الحاجة ، هذا نفي الشأن ، ليس هذا من شأني ، و لا من طبيعتي ، و لا من رغبتني ، و لا من إرادتي ، ولا أَرْضاه ، و لا أقرّ به و لا أستسيغه ، أشدّ صيغة من صيغ النفي في اللغة العربية نفي الشأن ، قال تعالى:

﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهِلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصَلِحُونَ ﴾

[سورة هود : ١١٧]

أي مستحيل و ألف مستحيل أن تهلك قرية من دون ذنب ارتكبه أهلها ، قال تعالى :

﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهِلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصَلِحُونَ ﴾

[سورة هود : ١١٧]

لو تتبعنا آيات القرآن الكريم كلها لما وجدت و أهلها صالحون ، بل تجد و أهلها مصلحون ، فالصالح صالح بذاته ، أما المصلح فهو الذي يصلح غيره ، هو الذي يتجاوز صلاح نفسه إلى إصلاح غيره ، وهذا معنى قوله تعالى :

﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾

[سورة آل عمران : ١١٠]

ما علة هذه الخيرية التي أكرمنا الله بها نحن أمة محمد صلى الله عليه و سلم؟ قال :

﴿ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾

[سورة آل عمران : ١١٠]

فإن لم نأمر بالمعروف و لم ننه عن المنكر فقدنا خيريتنا التي أكرمنا الله بها .

من لم يتحرك عند ظهور الفتن فموقفه يتناقض مع ما في الكتاب و السنة :

ويقول الله عز وجل :

﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً ﴾

[سورة الأنفال : ٢٥]

من أوضح ما يفسر هذه الآية أن حريقاً نشب في بيت ، فإن لم يهرع أهل الحي كله لإطفاء هذه النار انتقلت هذه النار من بيت إلى بيت إلى أن تصل إلى آخر بيت ، فإذا ظهرت فتنة و لم نتحرك ، و لم نتكلم ، و لم نعترض ، و لم نأمر بالمعروف ، و لم ننه عن المنكر ، هذه الفتنة سوف تستشري و سوف تعم ، عندئذ يعم البلاء ، أن يقول إنسان منا: لا علاقة لي ، هذا موقف انهزامي ، هذا موقف سلبي ، هذا موقف يتناقض مع ما في الكتاب و السنة من توجيهات حكيمة، قال تعالى :

﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهِلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصَلِحُونَ ﴾

[سورة هود : ١١٧]

قد تنسحب الآية على الهلاك الجماعي ، هلاك استئصال ، أو هلاك تعذيب ، قد تستأصل قرية بأكملها ، و قد تذوق ألوان البؤس و الفقر ، ألوان العذاب و الفقر ، الأول استئصال و الثاني تعذيب ، و قد تنسحب الآية على الأفراد ، كان عليه الصلاة و السلام يقول :

((اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ ، وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ ، وَفُجَاءَةِ نِقْمَتِكَ ، وَجَمِيعِ سَخَطِكَ))

[مسلم عن عبد الله بن عمر]

ربط المصائب التي تحل بالناس في شتى بقاع الأرض بالذنوب :

أيها الأخوة الكرام ؛ لأن الله عز وجل يقول:

﴿وَأِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ

مَسْطُورًا﴾

[سورة الإسراء : ٥٨]

لا بد من أن نأخذ حذرنا ، لا بد من أن نتفهم واقعنا ، لا بد من أن نربط هلاك القرى بعلّة راجحة دليلها في القرآن الكريم ، لا بد من أن نربط هذه المصائب التي تحل بالناس في شتى بقاع الأرض بذنوب ، بسبب بعلّة راجحة تتناسب مع هذه المصيبة ، هكذا علّمنا القرآن الكريم ، قال تعالى:

﴿وَمَا كَانَ رَبِّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ﴾

[سورة هود : ١١٧]

لا تتجّ أيها الكريم إذا كنت صالحاً ، لأن الله حينما أرسل الملائكة ليهلكوا قرية قالوا: يا رب إن فيها رجلاً صالحاً ، قال: به فابدؤوا ، قالوا: و لم يا رب؟ قال: لأن وجهه لم يتمعر إذا رأى منكراً ، لم يكن يتمعر ويتغير إذا رأى منكراً .

النجاة من عذاب الله لا يكون إلا إذا كنا مصلحين :

يا أيها الأخوة الكرام ؛ في الحديث الحسن الصحيح عن عبد الله بن عمرو قال: كُنْتُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَطَلَعَتِ الشَّمْسُ فَقَالَ:

((يَأْتِي اللَّهُ قَوْمٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ نُورُهُمْ كَنُورِ الشَّمْسِ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ أَنَحْنُ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: نَا وَلَكُمْ خَيْرٌ كَثِيرٌ وَلَكِنَّهُمْ الْفُقَرَاءُ وَالْمُهَاجِرُونَ الَّذِينَ يُحْشَرُونَ مِنْ أَقْطَارِ الْأَرْضِ ، وَقَالَ: طُوبَى لِلْغُرَبَاءِ طُوبَى لِلْغُرَبَاءِ طُوبَى لِلْغُرَبَاءِ ، فَقِيلَ: مَنْ الْغُرَبَاءُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ نَاسٌ صَالِحُونَ فِي نَاسٍ سَوْءٍ كَثِيرٍ مَنْ يَعْصِيهِمْ أَكْثَرُ مِمَّنْ يُطِيعُهُمْ))

[أحمد عن عبد الله بن عمرو]

أيها الأخ الكريم ، على مستوى فردي و على مستوى جماعي ، لا يمكن أن ننجو من عذاب الله إلا إذا كنا مصلحين ، إلا إذا أمرنا بالمعروف و نهينا عن المنكر ، يقول عليه الصلاة و السلام في الحديث الصحيح عن عبد الله بن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

((مَا مِنْ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللَّهُ فِي أُمَّةٍ قَبْلِي إِلَّا كَانَ لَهُ مِنْ أُمَّتِهِ حَوَارِيُونَ وَأَصْحَابٌ يَأْخُذُونَ بِسُنَّتِهِ وَيَقْتَدُونَ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِنَّهَا تَخْلَفُ مِنْ بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ، وَيَفْعَلُونَ مَا لَا يُؤْمَرُونَ ، فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِيَدِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِلِسَانِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ ، وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الْإِيمَانِ حَبَّةٌ خَرْدَلٍ))

[مسلم عن عبد الله بن مسعود]

صفة الذين يأتون من بعد الأنبياء و قد تناول عليهم العهد أنهم يقولون ما لا يفعلون ، ينافقون ، و يفعلون ما لا يؤمرون ، يبتدعون ، لا بقلبك تتكر و لا بيدك تتكر و لا بلسانك تتكر ، يقول عليه الصلاة و السلام هذا الذي يدّعي أنه مؤمن و يرى ابنة أخيه في ثياب فاضحة لا ينكر لا بيده ، و لا بلسانه ، و بقلبه ، ليس فيه حبة خردل من إيمان ، الموقف السلبي ، الموقف الانهزامي ، الموقف اللامبالي ، الموقف الذي لا يعبر عن غيرة هذا ليس من شأن المؤمن ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :

((مَا مِنْ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللَّهُ فِي أُمَّةٍ قَبْلِي إِلَّا كَانَ لَهُ مِنْ أُمَّتِهِ حَوَارِيُونَ وَأَصْحَابٌ يَأْخُذُونَ بِسُنَّتِهِ وَيَقْتَدُونَ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِنَّهَا تَخْلُفُ مِنْ بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ يَقُولُونَ مَا نَا يَفْعَلُونَ وَيَفْعَلُونَ مَا نَا يُؤْمَرُونَ فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِيَدِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِلِسَانِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الْإِيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ))

[مسلم عن عبد الله بن مسعود]

إلزام النفس بالإيمان و تحصينها بالعلم و الاستقامة :

أيها الأخوة الكرام ؛ لعل بعض الأخوة الكرام يفهم قوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ﴾

[سورة المائدة: ١٠٥]

المعنى الذي يغيب عن معظم المسلمين في هذه الآية ، قال تعالى:

﴿عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ﴾

[سورة المائدة: ١٠٥]

أي الزموا أنفسكم ، عرفوها بربها ، احموها على طاعته ، قربوها من ربها بالعمل الصالح ، فإن فعلتم هذا لا يستطيع الطرف الآخر أن يؤذوكم ، و لا أن يشتتوكم ، و لا أن يلقوا فيكم الشبهات ، و لا أن يحملوكم على معصية خالق الأرض و السموات :

﴿عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ﴾

[سورة المائدة: ١٠٥]

حصنوها بالإيمان ، حصنوها بالعلم ، طهروها بالاستقامة ، ارفعوها بالطاعة ، قربوها بالعمل الصالح ، إن فعلتم هكذا عندئذ لا يستطيع أهل الدنيا المارقون من الدين ، الخارجون عن منهج رب العالمين ، الذين يؤثرون الدنيا على الآخرة أن يلقوا فيكم الشبهات ، و لا أن يحملوكم اقتراف الشهوات :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ﴾

[سورة المائدة: ١٠٥]

الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر فرض عين ، فإذا قام به البعض سقط عن الكل ، و لا ينبغي أن تتكر إلا ما كان مجمعاً عليه ، و لا يقبل أن تتكر ما كان مختلفاً فيه .

حمل همّ المسلمين و تجاوز الذات إلى الغير :

أيها الأخوة الكرام ؛ من استطاع أن يغير المنكر بيده لا يُقبل منه أن يغيره بلسانه ، ومن استطاع أن يغيره بلسانه لا يُقبل منه أن يغيره بقلبه ، و إذا نشأ عن إنكار المنكر منكر أشدّ منه ينبغي ألاّ تنكر إلا بقلبك ، هذه كلها أحكام شرعية ، الشرع منهج قويم و صراط مستقيم وحبلى الله المتين . ورد أيها الأخوة عن أبي أمامة وأبي الدرداء ووائل بن الأصقع وأنس بن مالك قالوا: خرج علينا رسول الله يوماً و نحن نتمارى - ذكرت هذا في الأثر لأن المماراة شيء و إصلاح النفوس شيء آخر ، ينبغي أن نشتغل بإصلاح نفوسنا و إصلاح إخوتنا ، لا أن نتمارى ، لا أن نستهلك وقتنا في الشحاء ، لا أن نستهلك وقتنا في المجادلة العقيمة- في شيء من الدين ، فغضب غضباً شديداً لم يغضب مثله ، ثم انتهرنا فقال: مهلاً يا أمة محمد إنما هلك من كان قبلكم بهذا ، أخذوا المرء لقلّة خيره ، ذروا المرء فإن المؤمن لا يمارى ، ذروا المرء فإن الممارى قد تمت خسارته ، ذروا المرء فكفاك إثماً ألا تزال مرانياً ، ذروا المرء فإن الممارى لا أشفع له يوم القيامة ، ذروا المرء فإن الشيطان قد يئس أن يعبد في أرضكم و لكن قد رضي منكم بالتحريش بين المؤمنين " أصلح نفسك ثم أصلح أخاك ، و لكن كيف نصلح؟ هذا موضوع الخطبة؟ الغرباء الذين يصلحون الناس إذا فسدوا ، من علامة الغرباء في آخر الزمان أنهم يصلحون ، و من خيرية هذه الأمة أنها تأمر بالمعروف و تنهى عن المنكر ، لا بد من أن تتجاوز ذاتك إلى غيرك ، لا بد من أن تحمل همّ المسلمين ، لا بد من أن تقدم شيئاً لأمة محمد صلى الله عليه و سلم ، لا بد من أن تسهم في إرشادهم إلى الحق ، لا بد من أن تسهم في نهيمهم عن المنكر ، لا بد من أن تمنحهم شيئاً ، لا بد من أن تكون خيراً في معاملتك لهم .

إصلاح النفوس يكون بـ :

١ - القدوة الحسنة :

أيها الأخوة الكرام ؛ السؤال الذي تُبنى عليه الخطبة: كيف نصلح إذا فسد الناس؟ قبل كل شيء لا يمكن أن تصلح طفلاً إن لم تصلح نفسك أولاً ، إن طفلاً لا يصدقك ، إن إنساناً سادجاً لا يقبل منك أن تصلحه من دون أن تصلح نفسك ، أن تأمر الناس بالتقشف و أنت في أعلى درجات النعيم ، هذا كلام مرفوض ، أن تأمر الناس بالصبر و أنت لا تصبر على ذلك هذا كلام مرفوض، أن تأمر الناس بما لا يطاق و أنت لا تطيق معهم ما تقول ، هذا كلام غير واقعي ، لا بد من أن تصلح نفسك أولاً ، لا بد من أن تكون القدوة ، لذلك جهاد النفس و الهوى أعلى درجات

الجهاد ، لأن الذي انتصر على نفسه ، يمكن أن يسهم في إصلاح غيره ، ثم يأتي بعده الجهاد الدعوي ، قال تعالى :

﴿وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾

[سورة الفرقان : ٥٢]

فيا أيها الأخوة الكرام ؛ لا تتوهم أنه بإمكانك أن تصلح طفلاً أو ابناً أو بنتاً أو موظفاً عندك في مؤسستك ، أو جاراً لك أو صديقاً إلا إذا رأك على أعلى درجات الكمال ، القدوة الحسنة هي أول طريق في إصلاح النفوس .

أيها الأخوة الكرام ؛ نصلح أنفسنا بتعريفها بربها ، و تعريفها بمنهج ربها ، ثم بحملها على طاعة الله ، ثم بحملها على البذل و العطاء ، فإذا صلحت نفوسنا نشمّر لإصلاح غيرنا .

٢ - الكلمة الطيبة :

أيها الأخوة الكرام ؛ نصلح بالكلمة الطيبة ، و الكلمة الطيبة صدقة ، ورد في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم :

((كُلُّ سُلَامَى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ يُعَدُّ بَيْنَ النَّاسِ صَدَقَةً وَيُعِينُ الرَّجُلَ عَلَى دَابَّتِهِ فَيَحْمِلُ عَلَيْهَا أَوْ يَرْفَعُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ ، وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ ، وَكُلُّ خُطْوَةٍ يَخْطُوهَا إِلَى الصَّلَاةِ صَدَقَةٌ ، وَيُمِيطُ النَّادِي عَنْ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ))

[البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه]

والأنبياء جاؤوا بالكلمة الطيبة ، و الكلمة الطيبة غيرت معالم العالم ، الكلمة الطيبة هدت الشعوب ، رسخت الفضائل ، عمّت بها السعادة ، الكلمة الطيبة الصادقة .

أيها الأخوة الكرام ؛ الكلمة الطيبة صدقة كما قال عليه الصلاة و السلام ، و الله عز وجل يقول :

﴿لَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾

[سورة إبراهيم: ٢٤-٢٥]

الكلمة النابعة من الوحيين ؛ الكتاب و السنة ، و الكلمة التي تؤديها بإخلاص ، الكلمة التي تؤديها بحكمة ، الكلمة التي تؤديها برفق ، كلمة طيبة من الأصلين الكتاب و السنة، تُلقى على الناس بإخلاص شديد ، و بحكمة بالغة ، و بحب يشفعان لها أن تصل إلى القلوب ، لأنها خرجت من القلب ، الكلمة الطيبة الصادقة المخلصة وفق الكتاب و السنة بأسلوب حكيم و تلتطف شديد .

أيها الأخوة الكرام ؛ يقول عليه الصلاة و السلام:

((لَا عَدْوَى وَلَا طَيْرَةَ وَيُعْجِبُنِي الْفَالُ قَالُوا وَمَا الْفَالُ قَالَ كَلِمَةٌ طَيِّبَةٌ))

[البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه]

إذا استبشر الناس بشيء لا تحبط استبشارهم ، إذا تعلق الناس ببعض الأمل لا تكن محبطاً لأمالهم ، الفأل الحسن من الكلمة الطيبة .

أيها الأخوة الكرام ؛ الكلمة الطيبة الصادقة تفعل فعل السحر في الناس ، الكلمة الطيبة التي تطيب بها النفوس ، أي حديث يجمع الناس على الله ، أي حديث يقرب الناس من الله ، أي حديث يزهّد الناس في الدنيا ، يعلّقهم بالآخرة ، أي حديث يحرك مشاعر إيمانهم هو من الكلمة الطيبة ، و أي حديث يبعدهم عن الله ، و أي حديث يقربهم من اليأس و الإحباط ، أي حديث يرسّخ فيه الشرك ، أي حديث تحبب فيه الدنيا ، أي حديث تبتعد بالناس عن الآخرة هو الكلمة الخبيثة ، هذه الكلمة الخبيثة كالشجرة الخبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار .

أيها الأخوة الكرام ؛ من عدّ كلامه من عمله نجا ، كلمة تلقى بها حقيقة ، كلمة ترفع بها معنويات إنسان ، كلمة تحمل فيها إنساناً على الصبر ، وهناك كلمات و كلمات ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ لَأ يَرَى بِهَا بِأَسَا يَهْوِي بِهَا سَبْعِينَ خَرِيفًا فِي النَّارِ))

[الترمذي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ]

ارتباط القدوة الحسنة بالكلمة الطيبة :

لا تكفي الكلمة الطيبة ، لا بد من القدوة الحسنة ، لا بد من أن تكون مثلاً ، لا بد من أن تكون أسوة ، لا بد من أن تكون قدوة ، الناس يتعلمون بعيونهم لا بأذانهم ، إن موقفاً واحداً يلغي ألف كلمة ، الإمام أبو حنيفة رأى طفلاً شارف على الوقوع في حفرة ، فقال: يا غلام إياك أن تسقط ، فقال: بل أنت يا إمام إياك أن تسقط ، إني إن سقطت سقطت وحدي ، و إنك إن سقطت سقطت معك العالم ، الأب قدوة ، و المعلم قدوة ، و مدير المؤسسة قدوة ، و مدير المستشفى قدوة ، و مدير الثانوية و أي منصب قيادي هو قدوة . القدوة الحسنة من أسباب نجاح الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه في دعوتهم ، وأن الأرض من مشرقها إلى مغربها آمنت برسالتهم و أنهم فعلوا ما قالوا ، لم يجد أصحاب النبي فرجة بين أقوالهم و أفعالهم ، وأي داعية إلى الله ، وأي مؤمن إذا التزم أن تكون حياته كما يقول ، علاقته كما يقول ، بيته كما يقول ، أولاده كما يقول ، حقّق نجاحاً في الدعوة ما بعده من نجاح .

٣ - الإحسان :

أيها الأخوة الكرام ؛ ثم إن الإحسان له دور خطير في إصلاح الناس ، أولاً تلقي عليهم الكلمة الطيبة النابعة من الكتاب و السنة ، لأنه حق صراح ، بإخلاص شديد و حكمة بالغة و تلطف شديد ، ثم أن تكون أنت قدوة لهم ، لأن الناس يتعلمون بعيونهم لا بأذانهم ، ثم أن تحسن إليهم ، عليك أن تفتح قلوبهم بالإحسان إليهم ، فالإنسان عبد الإحسان ، " ذكّر عبادي بإحساني إليهم ، فإن

النفوس جبلت على حبّ من أحسن إليها ، وبغض من أساء إليها ، عَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ قَالَ ثِنْتَانِ حَفِظْتُهُمَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَ وَلِيُحَدِّثْ أَحَدَكُمْ شَفْرَتَهُ فَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ))

[مسلم عَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ]

يجب أن تحسن في مهنتك ، وفي وظيفتك ، وفي عيادتك ، وفي مكتبك الهندسي ، وفي صفك ، وفي دكانك ، يجب أن تحسن في بيتك ، يجب أن تحسن في كل نشاطات حياتك ، الحديث الدقيق يقول عليه الصلاة والسلام ، عَنْ حُدَيْفَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((لَا تَكُونُوا إِمْعَةً تَقُولُونَ إِنَّ أَحْسَنَ النَّاسِ أَحْسَنًا وَإِنْ ظَلَمُوا ظَلَمْنَا وَلَكِنْ وَطِنُوا أَنْفُسَكُمْ إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَنْ تُحْسِنُوا وَإِنْ أَسَاءُوا فَلَا تَظْلِمُوا))

[الترمذي عَنْ حُدَيْفَةَ]

هذا الذي تقوده البيئة هو من أنفه الناس ، الأناس العظام يغيرون معالم البيئة ، أما هؤلاء الذين تحكمهم ظروف البيئة فهؤلاء إمعة ، أنت مؤمن عليك أن تتحرك وفق منهج الله ، لا وفق الأعراف و التقاليد و معطيات البيئة:

((. . . وَطِنُوا أَنْفُسَكُمْ إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَنْ تُحْسِنُوا وَإِنْ أَسَاءُوا فَلَا تَظْلِمُوا))

[الترمذي عَنْ حُدَيْفَةَ]

أما هذا الذي يقول: هكذا الناس جميعاً ماذا نفع! ؟ هذا من الإمعة الذي ذمه النبي عليه الصلاة والسلام .

٤ - الجمع بين الترغيب و الترهيب :

أيها الأخوة الكرام ؛ إن لم نصلح أنفسنا أولاً ، و إن لم نصلح غيرنا ثانياً ، لن ننجو من عذاب الله ، على مستوى فردي ، أو على مستوى جماعي ، دقق أيها الأخ الكريم كيف أن القرآن الكريم رغب مرة و رهّب مرة ، تعلم من أساليب الله عز وجل ، قال تعالى:

﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

[سورة السجدة : ١٧]

هذا هو الترغيب ، قال تعالى:

﴿أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾

[سورة الملك : ١٦]

هذا هو الترهيب ، تعلم من القرآن الكريم ، رهّب و رغب ، أما هؤلاء الدعاة الذين يرهّبون دائماً فليسوا على حكمة ، و ليسوا على منهج الله و لا على منهج رسوله ، و أما الآخرون الذين يمدحون بلا طائل و لا ينظرون إلى الخلل الخطير فيمدحون كل من يروونه أمامهم أيضاً هؤلاء على غير منهج الله ومنهج رسوله ، لا بد من أن ترغب تارة وترهّب تارة أخرى . قال تعالى:

﴿أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ﴾

[سورة الشعراء : ٢٠٥]

كان عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى لا يدخل مجلس الخلافة إلا ويتلو هذه الآية:

﴿أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ﴾

[سورة الشعراء : ٢٠٥]

وقال تعالى:

﴿لَهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾

[سورة الأنبياء : ٩٠]

الذي يدعو إلى الله أو الذي يصلح الناس كما أمره الله ، الذي يصلح الناس لئلا يقع تحت طائلة هذه الآية ينبغي أن يجمع بين الترغيب و الترهيب ، ثم إن الله عز وجل يقول:

﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾

[سورة الشرح : ٦]

٥ - التيسير لا التعسير :

و يقول الله عز وجل:

﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾

[سورة البقرة : ١٨٥]

يسرّ و لا تعسير ، يقول عليه الصلاة و السلام:

((يسرّوا و لا تعسروا و بشرّوا و لا تنفروا))

[البخاري عن أنس بن مالك]

قصة قرأتها في كتاب قد تنفر الناس دعتها:

((يسرّوا و لا تعسروا . . .))

[البخاري عن أنس بن مالك]

هذا الذي يقول: الصحابة الكرام شربوا دم حجارة النبي و فعلوا و فعلوا ، ألا تجد في سيرة النبي التي تهز النفس من أعماقها ألا تجد في شمائله وفي كرمه و في رحمته و في حلمه ما يغنيك عن مثل هذه القصص؟ سكنوا و لا تنفروا ، بشرّوا و لا تنفروا ، يسروا و لا تعسروا ، يقول لصحابيين جليلين ، عن سعيد بن أبي بردة عن أبيه عن جدّه أنّ النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَ مُعَاذًا وَأَبَا مُوسَى إِلَى الْيَمَنِ قَالَ:

((يسرّوا و لا تعسروا و بشرّوا و لا تنفروا و تطاوّعا و لا تختلّفا))

[البخاري عن سعيد بن أبي بردة عن أبيه عن جدّه]

قال تعالى:

﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾

[سورة الأنفال : ٤٦]

تطوعا و لا تختلفا ، إذا إن أردت أن تصلح الآخرين يجب أن ترغب و يجب أن ترهب ، يجب أن تيسر لا أن تعسر .

٦ - التدرج :

ثم إن الله عز وجل يعلمنا التدرج ، كيف حرم الخمر ، أول آية فيها إشارة إلى أن الخمر رزق ليس حسناً ، قوله تعالى:

﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا﴾

[سورة النحل: ٦٧]

أن تأكل العنب هذا رزق حسن ، الآية الثانية ، قال تعالى:

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾

[سورة البقرة: ٢١٩]

المعيار الثاني ، الدرجة الثالثة:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾

[سورة النساء: ٤٣]

الآية الرابعة:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾

[سورة المائدة: ٩٠]

تعلم حكمة الله عز وجل في تحريم الخمر ، إن أردت أن تهدي إنساناً إلى الله و رأيت في يده خاتم ذهب و هو لا يصلي أصلاً ، و لا يعرف الله أصلاً ، عرفه بالله أولاً ، عرفه بآياته ثانياً ، تدرج به إلى أن تحمله على طاعة الله عز وجل ، تدرج به بحكمة واتبع منهج القرآن الكريم . أيها الأخوة الكرام ؛ إن أردت أن تصلح الناس رغب و رهب ، يسر و لا تعسر ، تدرج دون حمل هذا المدعو على رفض الدين كله ، من دون حكمة ومن دون فقه .

٧ - التفهيم لا التلقين :

أيها الأخوة الكرام ؛ ماذا يقول سيدنا لقمان الحكيم؟

﴿يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ﴾

[سورة لقمان : ١٦]

هذا تفهيم ، فهم و لا تلقن ، أعد الكلام ثلاثاً كما يعيده النبي عليه الصلاة و السلام، تكلم ببطء و هدوء ، يقول عليه الصلاة والسلام:

((لَمْ يَفْقَهُ مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فِي أَقْلٍ مِنْ ثَلَاثِ))

[الترمذي عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو]

و كان عليه الصلاة و السلام يكثر من ضرب الأمثال للتوضيح .

٨ - مخاطبة القلب و العقل معاً :

أيها الأخوة الكرام ؛ الذي أمامك إنسان له عقل و له قلب ، إن أردت إصلاحه ينبغي أن تخاطب عقله تارة ، و أن تخاطب قلبه تارة أخرى ، فإله عز وجل يقول:

﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّبَكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾

[سورة الانفطار : ٦]

هو يخاطب قلبه ، قال تعالى:

﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ﴾

[سورة الانفطار : ٧]

يخاطب عقله ، لا تتجح دعوة بمخاطبة العقل وحده كما أنه لا تتجح دعوة بمخاطبة القلب وحده ، لا بد من أن تخاطب العقل أولاً و القلب ثانياً أو أن تجمع بينهما .

إصلاح الناس فرض عين على كل مسلم :

أيها الأخوة الكرام ؛ الكلمة الطيبة النابعة من الكتاب و السنة الصادقة المخلصة الحكيمة مع القدوة الحسنة ، مع الإحسان ، مع الترغيب و التهيب ، مع التيسير لا التعسير ، مع التدرج لا الطفرة ، مع التفهيم لا التلقين ، مع مخاطبة العقل و القلب معاً ، ملامح إصلاح الناس ، و إصلاح الناس فرض عين على كل مسلم:

((مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ وَلَمْ يُحَدِّثْ بِهِ نَفْسَهُ مَاتَ عَلَى شُعْبَةٍ مِنْ نِفَاقٍ))

[مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ]

و يكفيك أن الله عز وجل يقول:

﴿وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾

[سورة الفرقان : ٥٢]

عَنْ عُمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ))

[البخاري عَنْ عُمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ]

لا بد من أن تخرج من ذاتك إلى إصلاح غيرك ، في حدود ما تعلم ، و مع من تعرف ، وهي فرض عين على كل مسلم ، ألسنت متبعا لرسول الله صلى الله عليه وسلم؟ يقول الله عز وجل:

﴿إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعِيَ﴾

[سورة يوسف: ١٠٨]

إن كنت متبعاً لرسول الله لا بد من أن تدعو على بصيرة ، و لكن لا نكلفك أن تكون علماً كبيراً من أعلام الدين ، في حدود ما تعلم ، و في حدود من تعرف ، عليك بخاصة نفسك ، إذا رأيت شحاً مطاعاً و هوى متبعاً وإعجاب كل ذي رأي برأيه فالزم بينك وأمسك لسانك، و خذ ما تعرف و دع ما تتكر ، و عليك بخاصة نفسك ، جيرانك ، أقرباؤك ، زملاؤك ، أصحابك ، أصدقاؤك ، هؤلاء خاصة النفس .

هداية الناس أعظم عمل على الإطلاق :

أيها الأخوة الكرام ؛ ما من عمل عند الله يفوق من أن تكون سبباً في هداية الخلق ، قال تعالى :
﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾

[سورة فصلت: ٣٣]

إصلاح الآخرين جزء من نشاط المؤمن ، ما إن تستقر حقيقة الإيمان في النفس إلا تعبر بذاتها عن ذاتها ، بحركة نحو الآخرين ، و قرأت مرة حكمة في مجلة تركت في نفسي أثراً بليغاً: " إذا أردت أن تسعد فأسعد الآخرين " اخرج من همومك ، اخرج من ذاتك إلى خدمة الخلق، عندئذ تكن حبيب الحق .

أيها الأخوة الكرام ؛ حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم ، و اعلموا أن ملك الموت قد تخطانا إلى غيرنا ، و سيتخطى غيرنا إلينا ، فلنخذ حذرنا، الكيس من دان نفسه و عمل لما بعد الموت ، و العاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني ، و الحمد لله رب العالمين .

* * *

الخطبة الثانية :

أشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، صاحب الخلق العظيم ، اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

العلاقة بين حركة الإنسان في الحياة و دورة القمر :

أيها الأخوة الكرام ؛ عَنْ يَزِيدَ بْنِ الْقَاسِمِ قَالَ سَمِعْتُ مُعَاذَةَ قَالَتْ: قُلْتُ لِعَائِشَةَ:
((أَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصُومُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ؟ قَالَتْ: نَعَمْ ، قُلْتُ: مِنْ أَيِّهِ كَانَ يَصُومُ؟ قَالَتْ: كَانَ لَا يُبَالِي مِنْ أَيِّهِ صَامَ))

[الترمذي عَنْ يَزِيدَ بْنِ الْقَاسِمِ]

و لكن ورد في وصية النبي عليه الصلاة والسلام لبعض أصحابه: صم ثلاثة أيام من كل شهر ، فلما سئل عن هذه الأيام الثلاثة عن أبي ذر قال:

((أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ نَصُومَ مِنَ الشَّهْرِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ الْبَيْضِ ثَلَاثَ عَشْرَةَ وَأَرْبَعَ عَشْرَةَ وَخَمْسَ عَشْرَةَ))

[النسائي عن أبي ذر]

سقت هذا الحديث لا لأربط ربطاً محكماً بينه و بين حقيقة علمية وهي أنه ثبت أن هناك علاقة بين حركة الإنسان في الحياة و بين دورة القمر ، جاء باحث و أخذ ملفات دوائر الشرطة في الأيام التي تقابل الأيام البيض ، فوجد أن نسب الحوادث أعلى بكثير من بقية الأيام، ثم إنه في آخر ما قرأت عن علاقة الأحوال النفسية الصعبة بدورة القمر كأنما الإنسان حينما يصوم ثلاثة أيام من كل شهر ، أو هؤلاء الذين يشكون من عصبية المزاج - الليالي البيض أي الثالث عشر و الرابع عشر و الخامس عشر ، الذي يأتي به النبي عليه الصلاة و السلام كما تعلمون ليس من خبرته ، ولا من اجتهاده ، و لا من ثقافته ، و لا من علمه الشخصي ، إنما هو وحي من الله عز وجل- ربما كان هناك علاقة بين دورة القمر و بين اضطراب الإنسان ، فالصيام قد يهدئ من اضطراب النفس و من رعونتها .

الدعاء :

اللهم اهدنا فيمن هديت ، و عافنا فيمن عافيت ، و تولنا فيمن توليت ، وبارك لنا فيما أعطيت ، و قنا و اصرف عنا شر ما قضيت ، فإنك تقضي بالحق و لا يقضى عليك ، وإنه لا يذل من واليت ، و لا يعز من عاديت ، تباركت ربنا و تعاليت ، ولك الحمد على ما قضيت، نستغفرك و نتوب إليك ، اللهم هب لنا عملاً صالحاً يقربنا إليك ، اللهم أعطنا و لا تحرمنا ، أكرمنا و لا تهنا ، آثرنا و لا تؤثر علينا ، أرضنا وارض عنا ، اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا و بين معصيتك ، و من طاعتك ما تبلغنا بها جنتك ، و من اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا ، و متعنا اللهم بأسماعنا و أبصارنا وقوتنا ما أحييتنا ، واجعله الوارث منا ، واجعل ثأرنا على من ظلمنا ، وانصرنا على من عادانا ، و لا تجعل الدنيا أكبر همنا و لا مبلغ علمنا ، و لا تسلط علينا ما لا يخافك و لا يرحمنا ، مولانا رب العالمين ، اللهم إنا نعوذ بك من عضال الداء و من شماتة الأعداء و من السلب بعد العطاء ، اللهم إنا نعوذ بك أن نضل أو نُضل أو نُزل أو نزل ، أو أن نجهل أو أن يُجهل علينا ، يا رب العالمين ، اللهم ما رزقتنا مما نحب فاجعله عوناً لنا فيما تحب ، و ما زويت عنا ما نحب فاجعله فراغاً لنا فيمن تحب ، يا رب العالمين ، اللهم كما أقررت أعين أهل الدنيا بديناهم فأقرر أعيننا من رضوانك ، يا رب العالمين، اللهم وفق ولاة المسلمين في مشارق الأرض و مغاربها لما تحب و ترضى ، اللهم سدّد خطاهم ، يا رب العالمين .

والحمد لله رب العالمين